نشأة اللغة العربية وتطورها فى التاريخ الإسلامي

Darwin Zainuddin

Universitas Islam Negeri Sumatera Utara
Jl. Williem Iskandar Pasar V Medan 20371, Sumatera Utara
Email: darwinzainuddin@gmail.com

Abstract: Arabic is a language that contributes vocabulary to languages that exist in the world, the main reason is that this language is used in the holy book, namely al-Qur'an which has survived in its original language for more than 14 centuries. Arabic is one of the Samiyah language families, ascribed to the son of the Prophet Noah named Sam ibn Nuh, then Arabic moved to "Ya'rab ibn Qahthan" to Prophet Ibrahim who used Arabic so that Arabic developed to the land of the Hijaz, Nejed, and surroundings. As for the inscription about Baidah Arabic which is estimated to have lived in the 1st century BC, which uses three dialects, namely Tsyamudiyah, Syafwiyah, and Lihyaniyah. Meanwhile, Baqiyah Arabic was discovered after the 5th century AD, which is used by Arabs in literature, writing, and essay. The Arabic dialect of Bagiyah has two families, namely the western side of the Hijaz which uses the dialect of "Quraish", and the eastern side of Nejed is "Tamimiyah". These two dialects developed the Arabic Fusha language which became the language of the Qur'an and Hadith.

مفتاح الكلمة : نشأة، اللغة العربية، البائدة ، الباقية ، تطور.

مقدمـة.

إن اللغة عنصر أساسي فى الحياة الإجتماعية راقية كانت أم إبتدائية حيث أنها لم تقتصر على أن تكون أداة نقل وتسجيل للحياة والأفكار، بل أنها ساعدت على نمو الفكرورقي الحياة ، وهي أيضا وسيلة الإتصال والتفاهم بين الناس فى نطاق الأفراد والجماعات والشعوب .اللغة العربية من أدق اللغات تصورا لما يقع فيها تحت الحواس . ومن أكثرها مرونة لقدرتها على الإشتقاق والتأثير والتأثر، وهذه الميزات إضافة أنها لسان القرآن الكريم الذى شد من أزرها وجعلها أكثر إستقرارا وسروحا ، جعلت فيها لغة الأفاق البعيدة ولغة إستيعاب المتغيرات المستجدة والحضارة بشتى أشكالها وألوانها

وأبعادها ، لهذا توجد اللغة العربية كنزا ينهل منه العلماء مما تحمله من ذخائر العلوم و الأداب والفنون[١].

التقى العرب قبل الإسلام بشعوب قريبة منهم كالشعوب السامية أو البعيدة كالفرس والروم ، كما أن اللغة العربية إحدى اللغات السامية حيث أن القبائل المتخدرة من نسل سام بن نوح عليه السلام كانت تتحدث بلهجات عديدة منها العربية ، ثم انتقلت لغة العرب إلى " يعرب بن القحطان " على أن القحطانيين يتكلمون الكلدانية لغة أهل العراق وهي إحدى اللغات السامية . إن اللغة العربية هي التى حملت رسالة الإسلام فغنيت بألفاظ كثيرة جديدة للتعبيرعن المفاهيم والأفكار و النظم وقواعد السلوك التى جاء بها الإسلام ، وغدت لغة الدين والثقافة و الحضارة والحكم فى آن واحد ، واستطاعت بما وهبها الله من خصائص وما تهيأ لها فى تاريخ طويل سبق بها الإسلام ، فتكون لغة الدولة الجديدة و الحضارة الجديدة .

واللغة العربية أيضا هي الأداة التى نقلت الثقافة العربية عبرالقرون وعن طريقها وبواسطتها اتصلت الأجيال العربية جيلا بعد جيل فى عصورطويلة وحملت الإسلام وما انبثق عنه من حضارات وثقافات وبها توحد العرب قديما ، وبها يتوحدون اليوم ويؤلفون فى هذا العالم رقعة من الأرض تتحدث بلسان واحد وتصوغ أفكارها وقوانيها وعواطفها فى لغة واحدة على تنائي الديار واختلاف الأقطار وتعدد الدول ، وهى أداة الإتصال ونقطة الإلتقاء بين العرب وشعوب كثيرة فى هذه الأرض أخذت عن العرب جزءا كبيرا من ثقافتهم واشتركت معهم ، والمؤسسات الدولية فى الكثيرمن مفاهيمهم وأفكارهم ومثلهم جعلت الكتاب العربي المبين ركنا أساسيا من ثقافتها وعنصرا جوهريا فى الفكرة والخلقية .

تعريف اللغـــة

[١] زكريا اسماعيل (دكتور) ، *طرق تدريس اللغة العربية* ، دار المعرفة الجامعية ، إسكندرية ،١٩٩١, ص : ٣٨

إن الإنسان والديه إستعداد كامن بالنطق بجميع الأصوات اللغوية التى نطق بها الإنسان ، وإنه عندما يتخصص فى الحديث بلغة معينة فى طفولته المبكرة يبدأ فى نفس الوقت فى إهمال النظام اللغوى الذى يخالف نظام لغته، وبمرورالزمن يفقد تلك المرونة التى كانت عليه فى طفولته الأولى ، ويصير تعلم نظام اللغة الأخرى منه إلى التدريب الطويل ليستعيد تلك المرونة التى فقدها .

عرف علماء اللغويين أن اللغة هي مجموعة إشارات تصلح للتعبير عن محالات الشعور، أي عن حالات الإنسان الفكرية والعاطفية والإرادية ، أو أنها للوسيلة التى يمكن بواسطتها تحليل أية صورة أو فكرة ذهنية إلى أجزائها أو خصائصها . وعرف علماء النفس اللغة، فرأوا أنها مجموعة إشارات تصلح للتعبيرعن حالات الشعور، أي عن حالات الإنسان الفكرية و العاطفية والإرادية ، أو أنها الوسينلة التى يمكن بواسطتها تحليل أية صورة أو فكرة ذهنية إلى أجزائها أو خصائصها، والتى بها يمكن تركيب هذه الصورة مرة أخرى فى أذهاننا وأذهان غيرنا، وذلك بتأليف كلمات ووضعها فى ترتيب خاص، وهذا التعريف يتضمن وظيفة اللغة إجمالا.[٢] يرى الدكتورأنيس فريحة أن اللغة أكثر من مجموعة أصوات، وأن أكثر من أن تكون أداة للفكر أو تعبيرا عن عاطفة ، إذ هي جزء من كيان الإنسان الروحي ، وأنها عملية فيزيائية اجتماعية بسيولوجية على غاية من التعقيد.[٣]

وعرف العلامة إبن خلدون " أن اللغة فى المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده ، وتلك العبارة فعل الإنسان ، فلا بد أن تصير ملكة متقررة فى العضو الفاعل لها ، وهي اللسان وهو فى كل أمة بحسب إصطلاحتهم.[٤] وقال هرلوك " تعتبر اللغة شاملة لكل صور التعبير قاطبة ، أما الكلام فماهو إلا أحد أشكال اللغة ، أي

[٢] عبد العزيز عبد المجيد ، *اللغة العربية أصولها النفسية وطرق تدريسها* ، دارالمعارف ، مصر، سنة : ١٩٥٢ص : ١٥
[٣] أنيس فريحة ، *الخط العربي نشأته ومشكلته* ، الجامعة الأميريكية ، بيروت ، سنة : ١٩٥٩ص : ٩
[٤] نايف معروف، (دكتور)، *خصائص العربية وطرائق تدريسها* ، دار النفائس ، القاهرة ، دس ، ص : ١٦

التعبير بأصوات مقطعية ، وظاهر من هذا أن تأييدها جزئي بخصوص استعمال لفظ الكلام [٥] . يقصر بعض الباحثين لفظ اللغة على تلك الرموز المنطوقة ، وبذا يخرجون منها وسائل التعبير والإتصال الأخرى من حركات معبرة وكتابة ، وهي أيضا أساسا للإرتباط الثابت بين أشياء مدركة حسيا وبين حالات شتى من الشعور، وهذا ما نجده ظاهرا عند صغار الأطفال والبدائيين ، واللغة هي أول الأمر استطالة لكل النشاط البداني بما فيه من قسمات وتأثرات بالأعضاء ، ولكن هذه الإستطالة سوف تعلو شيئا فشيئا لتصل إلى تلك الصور المجردة من الكلام لتصبح آخر الأمر شيئا فريدا قائما بذاته حيث تشتق كل كلمة دلالتها من الكلمات الأخرى .

من خلال الفهم أن اللغة هي ظاهرة إجتماعية ، لأن كل اللغات من صنع البشر وعلى الأخص أن علماء اللغة لم يقطعوا بالرأي أن اللغة مصنوعة بالكلية لأن نشأتها كما يقول عالم اللغة "فندريس؟ تقع خارج مجال العالم اللغوي وبالقول أن اللغة تطورت وتفرعت من جزر واحد وهو اللغة التى أنطقها الله تعالى على آدم عليه السلام مصداقا لقوله سبحانه تعالى : " *وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة* " سورة البقرة آية ٣١.

وبالواضح أن آدم عليه السلام وأبناءه كانوا يتحدثون بلغة راقية كاملة ناضجة ولم تكن اللغة فى يوم من الأيام لغة همجية ، يتداولها الإنسان القديم بالأصوات الشبيهة بأصوات الحيونات أو الطيور أو الريح وغيرها ، بل أن الإنسان اشتق من بعض أصوات هؤلاء فأصبح لها مدلولتها خلال التطور اللغوي . إن اللغة من وجهة النظر خلقها الله تعالى مع آدم عليه السلام ولكن استطاع الإنسان أن يتطور منها اللغات البشرية ويتداولها وينقلها جيل إلى جيل مع التهذيب والتطوير المصاحب لعملية التطور الحضاري.[٦]

[٥] صالح الشماع،(دكتور)، *إرتقاء اللغة عند الطفل* ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، سنة ١٩٧٣، ص : ٣٠
[٦] زكريا اسماعيل (دكتور)، المرجع السابق، ص : ١٢

وبالرغم من التطور بأن اللغة العربية والذى تدل عليه الأشعارفى العصرالجاهلي والحكم والأمثال ، إلا أن الله تعالى أرسل إلى نبيه محمد صلى الله عليه والسلام القرآن الكريم الذى بز لغة العرب علما وذوقا و بلاغة ، وكان القرآن الكريم خاتمة اللغة التى لقنها الله تعالى لآدم عليه السلام ،ومن إستقاء اللغة العربية . وبقية لغة أهل اللغة اشتقت من لغة أبناء نوح عليه السلام " سام " و إليه تنتسب اللغة السامية ، و " حام " و إليه تنتسب اللغة الهند ، أوروبية ، و " يافث " الذى تنتسب إليه لغة جنوب شرقيا منها إندونيسيا و ماليزيا وغيرها .

نبذة تاريخية فى أصل اللغات .

اللغة الإنسانية على سطح هذا الكوكب أكثرمن أن تحصى، فعلى الرغم من بحوث العلماء التى تحاول أن تحصى الهمسات فى كل بقعة من بقاع الأرض، نرى أن هناك دون شك لغات لم يتم التعرف عليها بعد، ومازالت بحوث العلماء و بعضها اندثر تماما ولم يبقى منه شيئ، أو بقي منه بعض النقوش التى تدل على مدى تراثه أو فقره ، وبعضها الآخر أخفى معالمه القديمة ، وأبدى صورة جديدة هي الأخرى ماضية على طريق التطور الخالد .

وقد حاول العلماء فى أصل اللغات أن يصنفوها لنا التى تم إكتشافها وفحصها ، ليسهل علينا حصرها، ومعرفة علاقات بعضها ببعض، وأشهر النظريات فى هذا السبيل هي نظرية " مكس مولر" التى ترجع جميع اللغات الإنسانية أو أغلبها إلى ثلاثة فصائل هي :

أ) الفصيلة الهندية الأوربية.

ب) الفصيلة الحامية السامية.

ت) الفصيلة الطورانية .[٧]

الفصيلة اللغوية الأولى : لما كانت هذه اللغات قد تباعدت وتباينت بفعل البيئات المختلفة، والأحداث التاريخية التى عاشتها فقد ميز اللغويون فى هذه المجموعة من اللغات ثماني مجموعات تشمل عددا كبيرا من اللغات القديمة التى إختفت الآن من مسرح الحياة ، واللغات الحديثة الحية، وهي على التالية :

١) مجموعة اللغات الأرية : التى تشمل اللغات الهندية الحديثة، والفارسية الحديثة والقديمة، والكردية والأفغانية.

٢) مجموعة اللغات الأرمنية.

٣) مجموعة اللغات الإغريقية : تشمل اللغات اليونانية القديمة والحديثة ، ومن أشهراللغات اليونانية القديمة هي اليونانية الأتيكية، والدورية .

٤) مجموعة اللغات الألبانية .

٥) مجموعة اللغات الإيطالية : التى تشمل اللغات الأسكية ، واللاتينية واللغات الرومنية ، وهى المتفرعة من اللاتينية كالفرنسية والبرتقالية، والإيطالية والأسبانية ولغة رومانيا.

٦) مجموعة اللغات الكاتية، وقد غلبتها الآن اللغات الفرنسية والإنجليزية والأسبانية .

٧) مجموعة اللغات الجرمانية : التى تشمل لغات إيسلندا والدانيمرك والسويد والنرويح ، والإنجليزية الكسونية الحديثة والهولندية و اللغات الألمانية.

٨) مجموعة اللغات البلطيقية– السلافية : التى تشمل الروسية والتشكية الصربية – الكرواتية والبلغارية الحديثة، وبعض اللغات القديمة فى شرق أوربا.

[٧] عبد الصبور شاهين، (دكتور)، *فى علم اللغة العام* ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، سنة ١٩٨٨، ص : ١٨٢

الفصيلة اللغوية الثانية : وهي الفصيلة الحامية – السامية ، وتشمل على مجموعتين من اللغات، هما السامية و الحامية، فاللغات السامية هي :

١) مجموعة اللغات السامية الشمالية، وتشمل اللغات : الأكادية أوالأشورية، واللغات الكنعانية (العبرية والفينقية)، واللغات الآرامية.

٢) مجموعة اللغات السامية الجنوبية، وتشمل العربية واليمنية القديمة ، واللغات الحبشية السامية. وأما اللغات الحامية فهي ثلاث طوائف :

أ) اللغات المصرية، وتشمل المصرية القديمة والقبطية.

ب) اللغات الليبية والبربرية ، وهي لغات السكان الأصليين لشمال أفريقية (تونس ومراكش والجزائروطرابلس والصحراء والجزرالمتاخمة لها).[٨]

ت) اللغات الكوشية وهي التى يتكلم بها السكان الأصليون للقسم الشرقى من أفريقية، ماعدا المنطقة الحبشية الناطقة بلغات سامية وماعدا المناطق السودانية ، وتشمل اللغات الصومالية ولغات الجالا والبدجا ودنقلة .

ومن هذا يظهر أن المنطقة التى تتكلم لغات من الفصيلة الحامية – السامية أصغر بكثيرمن المنطقة التى تشغلها اللغات الهندية– الأوربية، فضلا عن هذه المساحة تحتوى على صحراوات واسعة ، ولايكاد يتجاوز عدد الناطقين بها زهاء مائة وخمسين مليونا من البشر.

ومن الملاحظ على لغات هذه الفصيلة أن بعضها قد تغلب على بعض، حين إحتدم الصراع بين هذه اللغات ، فقد انتصرت الآرامية على الأكادية فى أول

[٨] صالح الشماع،(دكتور)، المرجع السابق ، ص : ٣٢

القرن الرابع قبل الميلاد ، وانتصرت على العبرية فى أواخرالرابع نفسه ' ثم تأتيها الفينقية بآسيا فى القرن الأول قبل الميلاد.

الفصيلة اللغوية الثالثة : وهي فصيلة اللغات الطورانية وتشمل عددا من اللغات التى لا تدخل فى نطاق إحدى الفصيلتين السابقتين ، وذلك كاللغات التركية والتركمنية والمغولية، المنشورية . وهذه اللغات ليست فصيلة بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة ، بمعنى أنها لا تؤلف فيما بينها مجموعة من اللغات ذات خصائص مشتركة بالوصف الذى سبق فى معنى القرابة اللغوية ، ولكنها تلفيق من اللغات يجمع بينها صفة سلبية، هي أنها ليست حامية — سام – ولا هندية — أوربية .

حظيت الدراسات اللغوية بنصيب وافر بين فروع العلم ، وإذا انها تمثل الحضارة الإنسانية على الأرض، ووسيلة التفاهم ليست بين أفراد المجتمع الواحد فحسب بل بين المجتمعات البشرية قاطفة ، وبالرغم من تباين هذه المجتمعات و تباعد تواجدها، فلم يبخل العلم الحديث علينا بوسائل الإتصال.

نشأة اللغــة فى الأرض.

نشأت اللغة إلى أنها كانت فى مبدئها ظاهرة انفعالية ، وأن أمرها قد تطور بتطور نضج الإنسان ، وسيطرة عقله على انفعالاته وبذلك استطاع أن يحكم هذه الأداة الإنفعالية بعقله، أي أنه وضعها فى خدمة تفكيره بعد أن كانت مجرد ترجمان لعواطفه وإنفعالاته. ومع تقدم الحضارة الإنسانية أصبحت اللغة هي الأداة الحضارية التى يسيطر بها الإنسان على سائر القوى المختلفة فى الكون ويتعامل بها معها. وبذلك أصبح كل شيئ فى الحياة ذا علاقة باللغة ، وله فيها رمز وتسمية بحيث لا يمكن للإنسان أن يمارس علاقاته بالأشياء دون استحضار رموزها اللغوية.[٩] ومن هنا كانت من حركة التفكير فى الإنسان ذات ارتباط وثيق باللغة ، بل إن الإنسان لا يستطيع

[٩] عبد الصبور الشاهين ، (دكتور)، *فى علم اللغة العام* ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، سنة : ١٩٨٨ص : ٩٥

أن يفكر إلا إذا صاغ عناصر فكره فى قوالب لغوية وترجمها إلى رموز لغوية. ويبدأ هذا التلازم بين الفكر واللغة منذ يعى الإنسان حقيقة وجوده ، ويجد نفسه قادرا على ترجمة علاقاته بعناصر الحياة إلى كلمات ذات دلالة .

اختلف العلماء الغربيون فى أصل اللغات ونقطة البداية فيها ، فمن قائل أنها هبة الله إلى الأرض، أي أنها ذات أصل إلهي، ومن قائل أنها من صنع الإنسان واختراعه، وقد استند الفريق الأول إلى ما جاء فى الكتاب المقدس فى سفرالتكوين أن اللغة أعظم الهبات التى وهبها الله للإنسان وأهمها، وبها أصبحت لديه القدرة على تسمية الأشياء وتقسيمها ، وقد أخذ بهذا الرأي الفيلسوف الفرنسي " روسو " حين اعترف فى رسالته التى ظهرت سنة ١١٦٤هـ (١٧٥٠م) بالأصل الإلهي حيث يقول : " لقد تكلم آدم وتكلم جيدا ، والذى علمه الكلام هو الله نفسه ". [١٠]

أما الفريق الآخرفقد زعم أن اللغة اخترعها الإنسان بوسائلها الخاصة ، ولم تبتكربصورة آلية بطريق التعليميات الإلهية ، ومن القائلين بهذه النظرية العالم هيردر(الفيلسوف الألماني) الذى يستدل على نظرية الأصل الإلهي بما يوجد فى اللغة الإنسانية من عيوب ، وبعدم وصولها إلى حد الكمال.[١١] علما أن لا علاقة بين عيوب وبين مصدرها الإلهي ، فقد خلق الله الإنسان فى أحسن التقويم ، ومع ذلك جعل فيه قابلية الخيروالشر، وذلك لحكمة أرادها رب العالمين من وجود الإنسان فى الحياة الدنيا، وقد قال الله تعالى فى وصفه لطبيعة النفس الإنسانية ((فألهامها فجورها وتقواها)).[١٢]

أما نظرية الإصطلاح والتواطؤ ، أي أن اللغة الإنسانية الأولى ابتدعت واستخدمت بالتواضع والإتفاق بين الناس ، وأما المواضعة تمت على أيدى جماعة ممن

[١٠] كمال محمد بشر (دكتور) ، *قضايا لغوية* ، دار القاهرة ، مصر ، سنة : ١٩٦٢ ص : ١١٦
[١١] نايف معروف، (دكتور)، المرجع السابق ، ص : ١٨
[١٢] سورة الشمس ، آية ٨

يتمتعون بعقلية عالية ، والتى بها كثيرون من القدامى والمحدثين ، منهم أبو هاشم المعتزلي ومن تابعه من المعتزلة . فلا تصمد أمام البحث العقلي ، لأنه لكي يتواضع الناس ويتفقوا ، لابد لهم من وسيلة راقية يتفاهمون بها فى موضوع جلل كهذا ، إذ كيف يتواضع الناس ويصطلحون على وضع لغة بغيرما لغة ؟ هذا ما يتعلق بلغة الإنسان الأول ، أما عمية رصد اللغة وضبطها وتطويرها فهذا شأن آخر[١٣]وحاول بعض المحدثين دراسة نشأة اللغة على أنها شيئ مصنوع ، وبالرغم من المعرفة المتزايدة التى حصل عليها العلماء لتاريخ الإنسان قبل التاريخ المدون هو أن اللغة ظاهرة إنسانية يسيكولوجية مكتسبة ملازمة للفرد ، يوقد نشأت بنشوئه ونمت بنموه الحضاري وبهذه الظاهرة أصبح الإنسان إنسانا ، كما وجد علماء الألسنية أن نطق كلمة مهما صغرت ، ينطوى على حركات عضلية لا حد لها ، ويصعب كثرمعرفته ورسمها.

شعبة اللغة العربية من اللغات السامية .

إن الشعبة الأساسية الشمالية فى اللغات السامية الغربية اشتملت على الكنعانية بجميع لهجاتها ، وعلى الآرامية بجميع لهجاتها أيضا ، كما يعلم أن الشعبة الأساسية الأخرى فى اللغات السامية الغربية — وهي الجنوبية — هي التى تشتمل على اللغتين العربيتين العظيمتين هما : العربية الجنوبية و العربية الشمالية. [١٤]

تؤلف اللغة العربية مع اللغات اليمنية القديمة واللغات الحبشية السامية شعبة لغوية واحدة يطلق عليها اسم الشعبة السامية الجنوبية ، وذلك أن صلة القرابة التى تربطها بهذين الفرعين أقوى كثيرا من صلات القرابة التى تربطها بشعبة السامية الشمالية ، كما يبدو ذلك من الموازنة بينهما فى أصول الكلمات والأصوات والقواعد ، وتختلف هذه الفروع الثلاثة نفسها فى مبلغ قربها بعضها من بعض ، فصلة القرابة

[١٣] نايف معروف ، المرجع السابق ، ص :١٩
[١٤] صالح الشماع ، المرجع السابق ، ص : ٤٢

بين اللغات اليمنية القديمة واللغات الحبشية السامية أقوى كثيرا من صلة القرابة بين كل منهما واللغة العربية [١٥]

ويرجع السبب فى ذلك إلى أن اللغات الحبشية السامية قد انشعبت بشكل مباشرعن اللغات اليمنية القديمة، وأن للفضل فى نشر اللسان السامي ببلاد الحبشة يرجع إلى المهاجرين الأولين من بلاد اليمن ، وتختلف هذه الفروع الثلاثة كذلك فى مبلغ بعدها عن الشعبة الشمالية من جهة ، واللغات اليمنية والحبشية من جهة أخرى ، أضيق كثيرا من مسافة للخلف بين هذه الشعبة واللغة العربية.

إن اللغة العربية إحدى اللغة السامية بمعنى أن القبائل المنحدرة من نسل سام بين نوح عليه السلام كانت تتحدث بلهجات عديدة ومنها العربية، ثم انتقلت لغة العرب إلى نسل " يعرب بن قحطان" حيث القحطانيون يتكلمون إلى الكلدانية لغة أهل العراق وهي إحدى اللغات السامية، ولكن يعرب يتكلم بالعربية وورثها عنه نسله والقبائل المنحدرة منه ، ونشأت عنها الحميرية لغة أهل اليمن ، حيث عاش بيعنهم إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام الذى تكلم العربية وورثها عنه أبناءه الذين صقلوا اللغة ووضعوا أسمائها ومصطلحاتها حتى ظهرت كلغة لها أثرها وتأثيرها من حيث البلاغة والبيان والبديع وصار لها شأنها بالنسبة لقريش فيما بعد.[١٦]

لهذا الإلقاء التاريخي أن اللغات السامية، وهي اللغات التى يتكلم بها الكلدانيون والأشوريون فى العراق ، والسريانيون والفينيقيون والعبرانيون فى الشام والحبشة ، وراء الساحل العربي من البحرالأحمركان فى العصورالأولى متشابهات بحيث يعتبرن كلهن لهجات للغة واحدة ، ولذلك استطاع سيدنا إبراهيم عليه السلام أن ينتقل بين العراق والشام ومصروالحجاز، وأن يتفاهم مع جميع سكان تلك الأقطار، إذ لم يكن بين لغاتها من فرق إلا كما يوجد الآن بين لهجات العربية فى المغرب

[١٥] علي عبد الواحد وافى (دكتور)، *فقـــــه اللغة* ، لجنة البيان العربي ، القاهرة سنة ١٩٦٢، ص : ٩٢
[١٦] شوقي ضيف (دكتور)، العصر الجاهلي ، دار المعارف، مصر، سنة ١٩٧٦، ص : ١٠٥

ومصروالشام واليمن وسائرهذه البلاد.[١٧] ولا نستطيع القول بأن واحدة منهن هي الأصل ، والأخرى فروع لها ، بل الراجح أن اللغة الأصيلة التى ترجع إليها هذه اللغات ذابت فيهن غير أن الحالة التى كانت عليها اللغات السامية جميعا قبل ظهور الإسلام . تحملنا على القول بكل جزم وتأكيد أن اللغة العربية أرقاهن ومعنى هذا أنها أعرقهم فى القدم ، فلا يبعد أن تكون هي البنت البكر لأمها السامية الأولى.

على أن وضع اللغة العربية كان فى الحق ممتاز عن سائر أخواتها من اللغات السامية ، إذ أنها قد انعزلت فى بيئتها الصحراوية ، وابتعدت عن الإحتكاك باللغات المجاورة ، ولذلك يقرر اللغويون أنها أقرب أخواتها الساميات إلى اللغة السامية الأم ، لأنها احتفظت بعدة عناصر امتازت بها الفصيلة السامية على سائر اللغات المعروفة ، ثم انقرضت هذه العناصر من بقية أخواتها كالعبرية و السريانية و الآرامية ، التى كانت مرحلة من مراحلها التاريخية .

نشأة اللغة العربية وأقسامها فى التاريخ الإسلامي .

تعتبر اللغة العربية بتراثها الضخم احدى اللغات العظيمة فى العالم، فمنذ العصورالوسطى تمتعت هذه اللغة بما يمكن أن يسمى بالعالمية التى جعلتها احدى لغات العالم العظيمة مثلها فى ذلك مثل اليونانية واللاتينية والإنجليزية والفرنسية والأسبانية والروسية. وهذا الوضع بالنسبة للعربية لايعكس فقط عدد المتكلمين بها ، بل يعكس أيضا المكانة إلى احتلاتها بالتالى ، والدور المهم الذى لعبته وماتزال تلعبه فى المجتمعات العربية والإسلامية . وقد ذكرالعالم اللغوي العظيم " فيرجسون" أن اللغة العربية بالنسبة إلى عدد المتكلمين بها، وبالنسبة إلى مدى تأثيرها ، تعتبر أعظم اللغات السامية اليوم ، وينبغى أن تعتبر كواحدة من اللغات المهمة فى العالم ، واللغة العربية

[١٧] عبد الصبور شاهين ، المرجع السابق ، ص : ٢١٧

اليوم أصبحت واحدة من اللغات الست التى تكتب بها وثائق الأمم المتحدة ، هذا علاوة على أن هناك رغبة شديدة لدي كثيرمن الشعوب العالم فى تعلم اللغة العربية.[١٨]

وليس هناك أدنى شك فى أن حياة اللغة العربية عبر العصور تعود أساسا إلى الإسلام وحيويته ، ومع ذلك فهناك صفات خاصة فى اللغة العربية ساعدت على بقائها وانتقالها من جيل إلى جيل آخر، فاللغة العربية لغة قوية ومحددة وصارمة ، وقد توراثت حيويتها من الأيام الخشنة فى الصحراء، والتى مكنتها من أن تقف فى وجه الأزمات و الصعوبات.

إن اللغة العربية قد نشأت فى أقدم مواطن الساميين يعنى بها بلاد الحجاز ونجد وما إليها ، فإن ما وصل إليها من أثارها يعد من أحدث الأثارالسامية ن، فبينما يرجع أقدم ما وصل إليها من آثار الأكادية الى ما قبل القرن العشرين قبل حالميلاد ، ومن أثار العبرية إلى القرن الثاني عشر قبل الميلاد ، ومن آثار الفينيقية إلى القرن العاشر قبل الميلاد ، ومن آثار الأرامية إلى القرن التاسع قبل الميلاد [١٩]. إذا قدم ما وصل إليها من آثار العربية البائدة لا يكاد يتجاوز القرن الأول قبل الميلاد ، وكذلك إذا قدم ما وصل إليها من آثار العربية الباقية لا يكاد يتجاوز القرن الخامس بعد الميلاد ، ولذلك لا يعلم شيئ عن طفولة اللغة العربية و ما اجتازته من مراحل فى عصورها الأولى ، وعلى هذا يمكن تقسيمها إلى قسمين :

١. العربية البائدة

٢. العربية الباقية

الأول : **العربية البائدة**

[18] Broadcasting Corporation, Arabic By Radio, Cairo, Sirs El-Layyan Press, tahun 1973, pace: 1

[١٩] علي عبد الواحد وافى (دكتور)، المرجع السابق، ص : ٩٣

المراد من العربية البائدة عربية النقوش التى بادت لهجاتها قبل الإسلام ، وهي التى ظهر على آثارها الطابع الأرامي ، لبعدها عن المراكز العربية الأصلية بنجد و الحجاز، وأهم اللهجات العربية البائدة هي :

أ) الثمودية : هي اللهجة المنسوبة إلى قبائل ثمود التى جاء فى القرآن الكريم .

ب) الصفوية : هي اللهجة المنسوبة إلى منطقة الصفا.

ت) اللحيانية : هي اللهجة المنسوبة إلى قبائل لحيان التى يرجح أنها كانت تسكن شمال الحجاز قبل الميلاد .[٢٠]

أما العربية البائدة فتطلق على لهجات كان يتكلم بها عشائر عربية تكون شمال الحجاز على مقربة من حدود الأراميين وفى داخل هذه الحدود ، و لتطرف هذه اللهجات فى الشمال ، وشدة إحتكاكها باللغة الأرامية ، وبعدها عن المراكز العربية الأصيلة بنجد والحجاز، فقدت كثيرا من مقوماتها وصبغت بالصبغة الآرامية ، وقد بادت هذه اللهجات قبل الإسلام . ولم يصل إليها منها إلا بعض النقوش عثر عليها أخيرا فى عدة المناطق .

الثاني : **العربية الباقية**

العربية الباقية هي التى تتصرف إليها كلمة العربية عند إطلاقها و التى لا تزال تستخدم عند الأمم العربية الأخرى لغة الأدب و الكتابة و التأليف . وقد نشأت هذه اللغة ببلاد الحجاز ونجد ، ثم انتشرت فى كثير من من المناطق العربية ، التى كانت تشغلها من قبل أخواتها السامية و الحامية ، وانشعبت منه اللهجات التى يتكلم به فى العصر الحاضر فى بلاد الحجاز ونجد و اليمن وما يتأخمها و يتصل بها من محميات وإمارات مستقلة ، وفى فلسطين و الأردن و سوريا و لبنان و العراق و

[٢٠] صالح الشماع ، المرجع السابق ، ص : ٤٦

الكويت و مصر و السودان و بلاد المغرب العربي . وقد وصلت إليها العربية ضالباقية عن طريق آثار العصر الجاهلي و القرآن الكريم و الأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم و آثار العصور الإسلامية .[٢١]

إن اللغة العربية إحدى اللغات السامية ، بمعنى أن القبائل يتكلم بها العرب فى جزيرتهم مذ حلها " قبيلة قحطان " رأس قبائل اليمن ، ويسمعون فى التاريخ بالعرب العاربة لأصالتهم فى العربية ، ومن قبائل اليمن " قبيلة جرهم " الثانية التى سارت إلى مكة و أحلتها قبل أن يردها إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، فلما جاءها إسماعيل صاهرهم و أقام معهم و كثرت بنوه بمكة و كان إسماعيل عليه السلام رجلا عبرانيا يتكلم باللغة العبرانية وهي الثانية من اللغات السامية ، و أمه " هاجر" هي التى كانت من أمرأة مصرية .[٢٢]

أخذ إسماعيل عليه السلام لغة العرب عن " قبيلة جرهم " الذى عاشرهم ، لكنه بحكم الضرورة أدخل فى اللغة العربية بعض ما يحفظها من الكلمات العبرانية وبعض ما تحفظها أمه " هاجر" من اللغة المصرية بعد أن هذبت بحسب ما يسهل على اللسان العربي ، وهذا أمر يسهل القول به لأن إسماعيل عليه السلام و أمه لا يمكنهما أن ينسيا بالمرة ما فى أنفسهما من الكلمات المحفوظة ، وإذا احتاجا إلى التعبير عن معنى لم توضع له كلمة فى لسان " قبيلة جرهم " يفزعان إلى ما معهما وهذا مشاهد فى تفاعل اللغات المستعملة ، والمؤرخون يسمون إسماعيل عليه السلام و أبناءه بالعرب المستعربة لما كان من دخولهم فى العربية ليس أصلهم منها.

ولا يعلم شيئ عن طفولة هذه اللغة ، إذ لم يعثر العلماء اللغويون فى مواطنها الأولى بنجد و الحجاز على آثار منقوشة أو مكتوبة تلقى ضوءا على حالتها الأولى ، و أقدم ما وصل إليها من آثارها هو ما يعرف بالأدب الجاهلي ، وآثار آدبية تنسب

[٢١] علي عبد الواحد وافى (دكتور)، المرجع السابق، ص : ٩٤
[٢٢] محمد الخضرى بك ، *تاريخ الأمم الإسلامية فى عهد الدولة الأموية* ، دار المعرفة ، بيروت (دس) ، ص : ٤٤

لطائفة من شعراء العصر الجاهلي وحكمائه و خطبائه ، ولكنها لم تجمع و تدون إلا فى القرون الأولى للعصر الإسلامي[٢٣] . إن من لهجات العربية الباقية لها مجموعتان رئيستان عظيمتان إحدهما حجازية غربية أو كما تسمى " قريشية " فقد ارتفعت لغة قريش فى الفصاحة ، كما أكد الفراء صفاء لغة قريش وأوضح أسرار ذلك الصفاء بقوله ((كانت العرب تحضر الموسم فى كل عام ، وتحج البيت فى الجاهلية ، وقريش يسمعون لغات العرب فما استحسنوه من لغاتهم وتكلموا بهم ، فصاروا أفصح العرب ، و خلت لغتهم من مستبشع اللغات ومستقبح الألفاظ)).[٢٤] والآخرى نجدية شرقية أو كما تدعى " تميمية " حيث أن لهجتي قريش و تميم أوسع نطاقا و خاصة على لهجة قريش التى جعلتها العوامل السياسية و الدينية والإجتماعية والإقتصادية ، وهي تعني اللغة العربية الفصحى المقصودة على الإطلاق . على أن إعترافها من جميع القبائل العربية كانت أغزرها مادة ، و أرقاها أسلوبا، و أغناها ثروة ، وأقدرها على التعبير الجميل الدقيق الأنيق فأفانين القول المختلفة .

الركن الأساسي فى بناء الأمة العربية هو اللغة العربية الفصحى ، التى تمتاز من بين لغات العالم الكبرى بتاريخها الطويل المتصل ، وثروتها الفكرية والأدابية ، وحضارتها التى وصلت إليها قديم الإنسانية بحديثها ، ورابطتها التى لاتنفصم بكتاب مقدس ، ودين يزيد معتنقوه عن خمس سكان العالم . وهذه الحقيقة يؤيدها التاريخ تأييدا قاطعا، فإن حياة العروبة منذ نشأتها فى شبه الجزيرة، حتى أحياء دعوة القومية العربية فى المرحلة الحاضرة من نهضتها قد ارتبطت باللغة العربية الفصحى ، ارتباطا وثيقا فى كل أدوار تاريخها الطويل.

وبهذه تحققت الخطوة الأساسية فى نمو الشخصية العربية واتساع كيانها، وأعد المسرح لظهور أمة مؤمنة موحدة المشاعروواللسان، وتحررت الطاقات الروحية والعقلية

[٢٣] علي عبد الواحد وافى (دكتور)، المرجع السابق، ص : ١٠٤
[٢٤] ظصالح الشماع ، المرجع السابق ، ص : ٦٠

للعرب ، تحت راية التطور الجديد، فانطلقوا ينشرون دعوة التوحيد، ويحررون شعوب الأرض من سلطان العقائد الفاسدة ، ويبيع أرواحهم بيع السماح فى سبيل الدفاع عن الدين الحق، ويسجلون أرواع ما عرفت البشرية من صفات البطولة ، والمروءة والتسامح والأخاء والعدالة بين الناس. وأقبلوا وأقبلت الشعوب المستظلة بظل حكمهم على كتاب هذا الدين هوالقرآن الكريم ، ويستنبطون منه ما شاءت لهم طاقاتهم من الدراسات العلمية. وعلى اللغة العربية الفصحى ينهضون بفنونها وعلومها ، ويسحلون بها روائع الفكر والأدب .

وشهد عالم نشوء حضارة عالمية شاملة ، تفسح صدرها لجميع الثقافات، وتوفر حرية الضميروالإعتقاد لكل مواطن، وتتخذ من لغتها الفصحى رابطة إنسانية مكينة ، توحد بين شعوبها فى الفكروالحياة، وتسهم فى رقي البشرية فى كل ميدان من ميادين المعارف والفنون.[٢٥] ويمكننا أن نقول للذين ينتقصون من الدور الذى لعبته عربيتنا الفصحى حضاريا وهثقافيا، ويتهمونها بالعجز عن أداء علوم العصر، كيف يعيبها اليوم أن تنقل علوما كان للعلماء العرب فى عصر الحضارة الإسلامية مجد الريادة فيها وتحريرها من المنهج التأملي الفلسفي ، الذى كان يسيطر على العقلية اليونانية فى عصر قيادتها للفكر الإنساني ، مترفعا أو عاجزا عن التجربة العملية بمنهجها الإستقرائي الدقيق ، وأجهزتها المعملية.[٢٦]

واستمرت اللغة العربذية عبرأربعة عشر قرنا تجمع هذه الأمة المترامية الأطراف، وتوحد مشاعرها فى مواجهة كافة الخطوب والأزمات ، ولهذه الأهمية المعطاة للغة العربية فى توحيد الأمة العربية.

[٢٥] فتحى يونس ومحمود الناقة ، *أساسيات فى تعليم اللغة العربية*، دارنشر الثقافة بالفجالة ، القاهرة، سنة : ١٩٧٧، ص : ١٤

[٢٦] عائشة عبد الرحمن ، *لغتنا والحياة* ، دارالمعارف مصر، القاهرة ، سنة ١٩٧١ص : ١٣٢

الخلاصة من البحث العلمي .

اللغات الإنسانية على سطح هذا الكوكب أكثر من أن تحصى ، فعلى الرغم من بحوث العلماء التى تحاول أن تحصى الهمسات فى كل بقعة من بقاع الأرض ، بأن هناك دون شك لغات لم يتم التعرف عليها بعد ، ومازالت بحوث العلماء اللغويين والإجتماعيين هم أن تحاولوا الكشف عنها .

ومن هنا نجد فى اللغات " القرابة اللغوية " على أنها بين اللغات أنسابا ووشائج أسرية ، حتى يتمكن أن تكون هنالك لغات أمهات ، ولغات بنات ، ولغات أخوات ، وهناك مجال آخرلإطلاق مصطلح القرابة اللغوية وذلك تتشعب اللغة الواحدة إلى عدة لهجات ، تختلف بإختلاف القبائل والبيئات الجغرافية ، وكذلك اللغة العربية كانت من اللغات السامية الجنوبية ، وهي كان فى الحق ممتازا عن سائر أخواتها من اللغات السامية ، إذ أنها قد انعزلت فى بيئاتها الصحراوية ، وابتعدت عن الإحتكاك باللغات المجاورة ، ولذلك قرر اللغويون أن اللغة العربية أقرب أخواتها الساميات إلى اللغة السامية الأم.

إن لهجة قريش كانت أوسع اللهجات العربية ثروة ، وأغزرها مادة وأرقها أسلوبا ، وأدناها إلى الكمال ، وأقدرها على التعبير فى مختلف فنون القول ، فلا غرابة إذن فى أن القرآن الكريم قد جاء بلغة قريش كانت مفهومة لدي جميع القبائل ، وكان يؤثر فى العرب والمجتمع الإسلامي بصفة عامة ببيانه وبلاغته ، فقد نزل بعد أن تم للهجة قريش التغلب على اللهجات العربية الأخرى ، وبعد أن أصبحت لغة الآداب لسائر قبائل العرب.

المراجع

زكريا اسماعيل (دكتور) ، *طرق تدريس اللغة العربية*، دار المعرفة الجامعية، إسكندرية، سنة ١٩٩١

نايف معروف، (دكتور)، *خصائص العربية وطرائق تدريسها*، دار النفائس، القاهرة، دس .

صالح الشماع ،(دكتور)، *إرتقاء اللغة عند الطفل*، دار المعارف بمصر، القاهرة، سنة ١٩٧٣

عبد الصبور شاهين، (دكتور)، *فى علم اللغة العام*، مؤسسة الرسالة، بيروت، سنة ١٩٨٨:

كمال محمد بشر (دكتور)، *قضايا لغوية*، دار القاهرة ، مصر، سنة : ١٩٦٢.

علي عبد الواحد وافى (دكتور)، *فقــه اللغة*، لجنة البيان العربي، القاهرة سنة : ١٩٦٢

محمد الخضرى بك، *تاريخ الأمم الإسلامية فى عهد الدولة الأموية*، دار المعرفة، بيروت (دس).

شوقي ضيف (دكتور)، العصر الجاهلي ، دار المعارف، مصر، سنة ١٩٧٦.

ولفنستون، تاريخ اللغات السامية، بيروت ،دارالقلم سنة : ١٩٨٠

فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، *خصائص القرآن الكريم*، الرياض : إدارات البحوث العلمية، سنة : ١٩٧٨

Broadcasting Corporation, Arabic By Radio, Cairo, Sirs El-Layyan Press, tahun 1973, pace: 1